

وشهورا، والا ثقالا، قبل أن يتجاوزوا هذه الكلمة:

"موضوع كل علم ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية"

الموقف هذا رائع حقاً. يدل على خصب فائق بخيال علمي رحب، وثقافة فلسفية واسعة، وجدل منطقي دقيق، إنه يعلم المحاكمة والنقد والتحليل، وليته لا يضيع في الشكيات، ليته يدخر شيئاً من طاقته الضخمة هذه للنتائج. إنه وهذا ما نأسف له - لا يوشك أن نصل إلى الموضوع العملي المرربوط باختصاصه. المرربوط بتنظيم الحياة. لا يكاد يصل حتى يفقد نطاطه، فتنبهر أنفاسه، وترتعش أوصاله، ويأخذه دوار ينسبة التحقيق في حدود عمله. شروط فهم الموضوع المحدد أنسته تحديد الموضوع.

وذلك هو عيب الفكر التجريدي. كان البيزنطيون بستأثرون بهذه العبقرية التي كنا. كانت النجف ترمز إليها بـ"كليات أبي البقا". أما الآن فقد عاد التجريديون كلهم بيزنطيين. كلهم أبا البقا.

* * *

الفتيا بالأحكام الشرعية مستنبطة من الأدلة التفصيلية.

هذا اختصاص الفقيه بالضبط.

ولكن ما مضمون هذا الاختصاص؟ ما حدوده؟ ما وسائله؟ ما التزاماته وتعهداته ومسئوليته؟ ما مكانه من نظامه الأساسي؟ ما علاقته بغيره من المعارف الناشئة، أو المتطورد في عائلة الفكر؟ ما هي أفعال المكلفين التي هي موضوع علمه، والتي أحكامها غايته؟

إن مشكلة اختصاص الفقيه لا تنحل قبل الإجابة على هذه الأسئلة. وهكذا يظهر أن العبرة ليست باستظهار التعاريف.

* * *

بعد ثورة الأدباء والفنانين على مذهب (الفن للفن) من سلسلة الثورة